مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

دور الإعلام في حفظ الصحة بالمغرب
من الحماية إلى الزمن الراهن

د. محمد بسباس
دكتوراه في تاريخ وتراث المغرب الحديث والمعاصر
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين مراكش
أسفي – المملكة المغربية

د. لبنى قهواجي
دكتوراه في تاريخ وتراث المغرب المعاصر
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة فاس مكناس – المملكة المغربية

مُلَخّص

مارس الإعلام دور مهم في حظ الصحة العامة وتوعية السكان المغاربة بمخاطر الأمراض والأوبئة المعدية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى نزيفًا ديمغرافيًا هائلاً، ويأتي الاهتمام الإعلامي بالقضايا الصحية في الصحف زمن الحماية الفرنسية على المغرب في ٣٠ مارس ١٩١٢م إلى غاية حصوله على استقلاله سنة ١٩٥٦ ، لإبراز دور الخدمات الصحية الاستعمارية في الحفاظ على الوجود الاستعماري، باعتبارها أحد آليات التغلغل الاستعماري. وإبراز افضال فرنسا على المغرب في إطار " رسالة الرجل الأبيض والمركزية الاوربية" ، ومن جهة أخرى كان لوسائل الاعلام المحلية دور في توعوي حول كيفية الوقاية من الأمراض، وكشف عدم التزام سلطات الحماية نحو المجتمع المغربي. واستمر هذا الدور بعد استقلال المغرب. واستمر الاهتمام الإعلامي بالقضايا الصحية الراهنة في زمن وباء كورونا ، فكانت المواضيع التاريخية ذات الصلة بتاريخية الأوبئة مادة إعلامية رائجة، لتشكل وثائق غير مقصودة حول تاريخ التأريخ للأوبئة .

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٠١ يوليو ٢٠٢٤
تـاريخ قبــول النشــر: ٠٣ أغسطس ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

الإعلام؛ حفظ الصحة؛ الحماية؛ الزمن الراهن؛ الأمراض والأوبئة

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.415057

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

محمد بسباس، لبنى قهواجي. "دور الإعلام في حفظ الصحة بالمغرب من الحماية إلى الزمن الراهن".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد السابع والستون؛ مارس ٢٠٢٥. ص ١٥٣ – ١٦٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: loubnakahouaji2015@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّأرِيْخِية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

لعب الإعلام دور مهم في توعية السكان المغاربة بمخاطر الأمراض والأوبئة المعدية التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى نزيفًا ديمغرافيًا هائلًا، ويأتي الاهتمام الإعلامي بالقضايا الصحية في الصحف منذ فرض الحماية الفرنسية على المغرب في ٣٠ مارس ١٩١٢م إلى غاية حصوله على استقلاله سنة ١٩٥٦، كدليل على مدى تقدم الخدمات الصحية المساهمة في نشر الوعي الصحي وتوعية الناس حول كيفية الوقاية من الأمراض وكيفية التعامل معها إذا ظهرت. واستمر الاهتمام الإعلامي بالقضايا الصحية الراهنة في زمن وباء كورونا، فكانت المواضيع التاريخية ذات الصلة بتاريخية الأوبئة مادة اعلامية رائجة، لتشكل وثائق غير مقصودة حول تاريخ التأريخ للأوبئة.

أولًا: الإعلام بالمغرب قبيل الحماية

لم يكن المغرب قبيل الحماية يتوفر على منابر إعلامية متقدمة، فأغلب الأخبار والأنباء كان يتم نقلها وتداولها حسب ما أورده جامع بيضا من خلال ما يلي:

المنادي: أو ما يعرف بالبراح، وهو الشخص الذي يتولى مهمة الاعلام، وذلك بإطلاق النداء بأعلى صوته في الأسواق وأمام المساجد وساحات المدينة ودروبها، وفي مختلف القرى والمداشر. وكان يعلن ما جد من الأحداث العامة منها والمحلية، وما يتخذه المخزن، كما يعلن أحيانًا عن حاجات الأسر والأفراد[١]، مما يفيد أن وظيفة البراح استقطبت المدن والقرى على حد سواء.

المساجد والزوايا والأضرحة: نظرًا لأدوارها الدينية والاجتماعية والإنسانية لعبت دور مهم نقل الأخبار والمعلومات، وجعلها متداولة.

الرقاص: أو ما يُعرف بساعي البريد حاليًا، وهي مهنة حظيت بعناية السلطان المغربي المولى الحسن الأول منذ سنة ١٨٩٢م، حيث حرص على تنظيمها، فقد كان الرقاص يسافر لعدة كيلومترات سيرًا على الأقدام، لتوصيل الرسائل والشحنات عبر عدة مدن كفاس والدار البيضاء مراكش وغيرها من المدن الكبرى[٢].

وخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، بدأ المغرب يشهد تطور الإعلام وميلاد الصحافة من طرف الدول الإمبريالية التي كانت لها أطماع استعمارية في المغرب خاصةً فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، وهكذا خلال الفترة المتراوحة ما بين ١٨٢٠ و١٩١٢ ظهرت بعض الصحف والجرائد اليومية والأسبوعية التي كانت معبرة وناطقة بلسان المستعمر[٣]، بهدف إظهار قوته وتأثيره الاقتصادي والاجتماعي والحضاري من جهة، وتسهيل عملية التغلغل الاستعماري بالطرق السلمية من جهة أخرى.

وفي الفترة المتراوحة بين ١٨٧٠ و١٩١٢، عرف المغرب صدور سبع عشرة جريدة ناطقة بالفرنسية، منها ثلاث عشرة جريدة في طنجة، وأربع في الدار البيضاء[٤]، أما فيما يخص الجرائد الصادرة باللغة العربية، فكانت أول صحيفة هي جريدة "المغرب" التي صدرت سنة ١٨٨٩. ثم جريدة "السعادة" وهي جريدة عربية أصدرتها السفارة الفرنسية في أربع صفحات سنة ١٩٠٤. طُبعت أول مرة في طنجة، عُرفت بولائها للاستعمار الفرنسي، وعاشرت مرحلتين في حياتها، المرحلة الأولى قبل سنة ١٩١٢ والثانية تبتدئ بتاريخ ١٩١٣[٥].

ثانيًا: مساهمة الإعلام في مكافحة الأمراض والأوبئة على عهد الحماية (١٩١٢ - ١٩٥٦)

عانت البلاد بين الفينة والأخرى من انتشار بعض الأمراض والأوبئة المعدية والفتاكة التي كانت متوطنة، مما أدى إلى تدهور الوضع الصحّي للسكان[٦]. ومع تعرض المغرب للحماية سنة ١٩١٢م، بدأ المستعمر بمحاولة إرساء الخدمات الطبية الأوربية العصرية من مؤسسات علاجية ومختبرات وأدوية قصد حماية عساكره ومستوطنه، إلى جانب العمليات الوقائية والعلاجية، ركّزت مصلحة الصّحة العموميّة والنّظافة على تنظيم حملات تحسيسية توعوية للوقاية من مختلف العلل[٧] بواسطة الصّحافة التي أكدت ضمن بعض أعمدتها على التيقظ والانقياد[٨].

وسنحاول من خلال هذا المقال رصد أخطر الأمراض والأوبئة التي ضربت البلاد على عهد الحماية، وكيفية تعامل الصحف الاستعمارية معها. وقد تصدرت حمّى

المستنقعات، وداء السل، ومرض الزهري هذه القائمة بشهادة مجموعة من الأطباء الأوربيين، هذا فضلًا عن وباء التيفوس والجذري والطاعون.

١/٢-الإعلام وحمى المستنقعات(Le Paludisme)

حاولت الصحف توعية المجتمع المغربي بمخاطر حمى المستنقعات وتقديم تفسير لأسباب الإصابة بها، فبحسب جريدة "السعادة" فإن هذه الحمّى: «مرض خطير يظهر على الإنسان بارتفاع درجة حرارته الطبيعية مع الرّعدة واشتداد وجع الرأس، وتصبّب العرق، ووجود التعب في كل حركة. وهو عبارة عن تسلط بعض الميكروبات الأجنبية على دم الإنسان (....) أما الوقت الملائم لانتشار هذا الداء، وتمكنه من الجسم، فيبتدئ من شهر ماي إلى غاية شهر نونبر...»[٩].

وحاولت الصحف تحسيس السكان المغاربة بالمجهودات المبذولة من قبل الأطباء بشأن تطويق الباعوض المسبب لحمى المستنقعات، وأوضحت كيفية اهتداء إدارة الصحة العمومية إلى زرع نوع من الأسماك يعرف بغامبوزيا Gambusias أثبت فعاليته في مكافحة البعوض. وفي هذا الإطار كتبت جريدة السعادة ما نصه: « ... كان استعمال نوع من الحوت يسمى غامبوزيا، أنفع وأحسن في مكافحة دود الناموس والقضاء عليه، لأنه يصطاده ويبتلع كميات وافرة في زمن قليل، ثم أنه لا يتطلب نفقات طائلة ولا يُفسد الماء وإنما يجب اختيار نوع خاص من هذا الحوت معروف بنمو ويتكاثر عدده في أقصر وقت ومشهور بشراهته وسهولة استئناسه بالأماكن التي يوجد بها دود الناموس... ومن خصائصه أن جميع أنواع المياه تلائمه سواء كانت مالحة أو عذبة أو كانت صافية ليست فيها أعشاب ونباتات أو راكدة .... وكذلك مياه الأودية الجارفة والمستنقعات والضايات والصهاريج»[١٠]. ويبدو أن هذه العملية مكنت الإقامة العامة من الحفاظ على المياه وحمايتها من التلوث.

إلى جانب العملية السالفة الذكر، أوضحت الجرائد أهمية الدواء المعرف بـ "الكينين" للمصابين بحمى المستنقعات ولغير المصابين، فحسب ما جاء في جريدة السعادة: «ولا يذهبن بعضهم إلى أن الكينا إنما يستعملها من أنشبت فيه الحمى مخالبها، فإن هذا الدواء صالح نافع ساعات المرض وفي أوقات السلامة، ففي الحالة الأولى يكون مقاومًا مكافحًا ، وفي الثانية يكون حاميًا وواقيًا ويفسر هذا أن قدر الكينا الذي يبتلعه الإنسان يوميًا يسري مفعوله في الأعضاء فيقضي على ما ربما بداخلها من الجراثيم ويحول بذلك دون حدوث الداء»[١١]، كما أكدت أن: «الحكومة جعلت منذ ١٩٢٧ رهن إشارة العموم كمية عظيمة من كينا الدولة، لأجل أن تباع لهم بأثمان زهيدة إعانة لهم على مكافحة حمّى المستنقعات. فكان من الواجب على كل واحد أن يعمل كل ما في وسعه لسلامته وسلامة أسرته وجميع أفراد حاشيته، وليس ذلك إلا باستعمال الوسائل المقررة واتباع الخطة المرسومة من مصلحة الصحة العموميّة [١٢]». ويتضح أن الجريدة حاولت أن تبين للعموم بدايةً توزيع دواء الكينين بطريقة شبه مجانية على السكان، وهي وسيلة للتعريف به وبأهميته.

٢/٢-الإعلام وداء السُّل

يُعَدّ السل من الأمراض المعدية التي تؤثر غالبًا على الرئتين، ونظرا لخطورته فقد حظي باهتمام جريدة السعادة التي حاولت تقديم معلومات حوله وكيفية تجنب الإصابة به كما يلي: «مرض خطير على الحياة يفتك بالشّبان في ريعان الصبا كما يفتك بعدد عظيم من الأطفال، والسّل مرض مُعْدٍ له ميكروب خاص يوجد في ألبان الأبقار المريضة بالتَّدَرُّن وفي المواد البلغمية يقدفها الأشخاص المصابون بهذا المرض (...) كما أنه يوجد في الأتربة المتطايرة، بسبب ما يعلق بها من جراثيم المرض بعد أن تجف المواد البلغمية التي يبصقها المريض على الأرض »[١٣].

وبالموازاة مع محاولة نشر التوعية بمخاطر داء السل، قدمت الصحف نصائح مجانية للأمهات المرضعات المصابات بالسل قصد تجنب إرضاع أطفالهن وبالتالي تجنب انتقال العدوى للرضع.[١٤] ويبدو أن هذه الإجراءات الإعلامية لعبت دورًا هامًا في تقليص عدد المسلولين. وفي إطار الوقاية ضد مرض السّل، أصدرت سلطات الحماية الفرنسية مجموعة من الظهائر التي تهدف إلى منع تفشّي العدوى بين السّكان عبر الجريدة الرسمية، ومنها ظهير ٧ أبريل ١٩٢٥ الذي يؤكّد على

إلزاميّة التصريح بالمرض والإبلاغ عنه[١٥]، وظهير٢ يناير ١٩٢٨ الذي تم بموجبه منح إجازة لفائدة الموظفين المصابين بالسّل مدفوعة الأجر مدة ستّة أشهر، قابلة للتّجديد لمدة ثلاث سنوات[١٦].

حاولت الصحف إقناع السكان المغاربة بالتبرع من أجل مكافحة داء السل وتطويقه، فاهتدت سنة ١٩٣٠ إلى القيام ببيع الطّوابع البريدية وتشجيع السّكان على اقتنائها، حسب ما أوردته جريدة السعادة فيما نصه: «قامت اللجنة المغربية لمقاومة داء السل..... بتنظيم بيع طوابع بريدية (تُنابر) لمكافحة داء السّل الفتاك وذلك بمناسبة انتهاء السنة، سيخصص من مدخوله ٩٠ ٪ لصندوق اللجنة.... وعليه من المستحسن، أن تعرف عامّة الناس بالمنافع التي تعود عليهم من مساعدة مثل هذه المؤسّسات والمشاريع الخيرية التي ليست غايتها معالجة المصابين فقط بل هي ساعيّة سعيًا حثيثًا، بصفة خاصة وقبل كل شيء، للمحافظة على سلامة الأصحاء وذلك بتكثير وسائل الوقاية حول المرض[١٧]».

٣/٢-الإعلام ومرض الزهري

يُعَدّ الزهري أو ما يعرف عند المغاربة بالمرض " الكبير" أو "النَّوَّار" [١٨] من الأمراض المعدية المنقولة جنسيًا، تسببه بيكتريا تدعى: "تريبونيم باليديم" Tréponème pallidum، وتنتقل العدوى أيضًا عن طريق استعمال بعض الأدوات الحادة الغير معقمة أثناء عملية الختان وخلع الأسنان أو الحلاقة والوشم وما إلى ذلك، إضافة إلى قلة النظافة ومخالطة المصابين دون وقاية[١٩]. تظهر على المصابين بهذا الداء عدة علامات وأعراض، يمكن اختزالها فيما أوردته جريدة السعادة: « ... تنتج عن الإصابة بداء الزهري قروح وجروح ظاهرة على الجلد وفي الحلق، وحبوب حمراء في البدن وآلام في الرأس، ووجع في العظام والمفاصل، وانتفاخ في الغُدد والغشاء المخاطي وبُثُور عميقة، وانسداد في الشريانات، وتتعطل حركة الأعضاء كلها أو بعضها وتُفْلَجُ، وتنتج عنه أمراض القلب والسَّقْط عند النساء المصابين بهذا المرض، أو المتزوجين بالمصابين من الرجال، وعوارضه شتى عند الأطفال...[٢٠]

ونظرًا لارتباط أغلب الأمراض التّناسلية التي كانت منتشرة في المغرب بالدّعارة، سنّت السّلطات المعنية عقوبات صارمة ومتشدّدة اتجاه كل من يتعاطى أو يساعد على البغاء السّري، وفي هذا السياق تم استصدار ظهير ١٩ مارس ١٩١٤ الّذي تضمن ما يلي: «يتعلق بالأشخاص الّذين يتعاطون البغاء السري، أما الأشخاص الّذين يتعاطون صناعة القيادة على النسوة فيعاقبون من ثلاثة أشهر إلى عامين سجنًا وبدعيرة مالية قدرها من مئة فرنك إلى ألف فرنك ويمنعون من الإقامة بإيالتنا الشريفة مدة قدرها من خمس سنين إلى عشرة أعوام»[٢١].

٤/٢-الإعلام ووباء التيفوس

التيفوس وباء شديد العدوى، ينتقل من الشخص المريض إلى الشخص السليم عادة عن طريق لسعات القمل[٢٢]، ونظرًا لخطورة وباء التيفوس، تبنت مجموعة من الصّحف العمليات التّحسيسية والتّوعوية ضد الوباء، كما هو الحال بالنسبة لجريدة التّرقي، التي نصحت قُرّاءَها بعدم مخالطة المصابين بالحمى، والتأكيد على مراعاة الشّروط الصحية في المأكولات والمشروبات[٢٣]. كذلك نصحت جريدة السعادة متتبعي صفحاتها بضرورة التّحلي بالنّظافة من أجل القضاء على القمل إذ جاء في بعض صفحاتها ما نصّه: «مرض التيفوس هو مرض الوساخة ومرض القمول ..... من هذا الاسم يتبين جليًا أول ما يجب علينا الحرص عليه فأول ما يلزمنا أن نسهر عليه هو منع الوساخة من ديّارنا وحومنا وطرقنا وبلادنا وكل موضع نسير فيه ونعيش به.... كما يلزمنا الحرص التام على الفتك بالحيوان الصغير... وهذا الحيوان هو القملة»[٢٤].

وقد حاولت جريدة السعادة تحسيس السكان بأعراضه التي تشمل: السعال والعصبية والغثيان، مؤكدة أن هذا الداء يصيب الذكور والإناث على حد سواء، وكذلك الصغار والكبار، والإصابة به غالبًا ما تكون مرة واحدة فقط[٢٥]. ومنذ ١٩١٢، استعانت الإقامة العامة بالجريدة الرسمية لتمرير مجموعة من المخططات الاستعجالية والفورية لمواجهة التّيفوس، وذلك من أجل توفير بيئة آمنة وسليمة لاستقرار الأوربيين، وتشجيعهم

على القدوم إلى المغرب، فاستصدرت لهذا الغرض قرارًا وزيريًا في١٤ فبراير ١٩١٤، تضمن الخطوات اللازم اتّباعها للوقاية من هذا الوباء المميت، ومن أهم ما جاء فيها: "إن وجود الفنادق، والمساجد، ومختلف الأماكن المقدسة التي يقصدها العديد من الناس بقلب المدينة، ومعظمهم مرضى، يشكل خطرًا دائمًا على السّاكنة الأوربية المتزايدة باستمرار، والتي فرضت عليها الظروف ضرورة التعايش مع السّكان الأصليين".[٢٦]

وبناءً على ذلك، تم اتخاذ الخطوات التالية لحماية المدينة المغربية من هذا الوباء، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ضرورة الابتعاد عن التجمعات البشرية تلافيًا للعدوى.
- تخصيص حملات بوليسية لتطهير المدن بشكل صارم من الفقراء والمعوزين والمتشردين.
- ضرب مخيمات، على بعد مسافات تتراوح بين كيلومتر واحد إلى كيلومترين، لإيواء أولئك الذين تم انتشالهم أثناء الحملات البوليسية، والعمل على تحميمهم بالصابون والكريزيل، مع حلق شعرهم وتجريدهم من ملابسهم القذرة وحرقها ومنحهم جلابيب جديدة.
- حراسة أبواب المدن، وحظر دخول المهاجرين القرويين والجياع والمرضى.
- تشديد الرقابة الصحية على الملاجئ والسجون ومختلف المؤسسات الخيرية، وتنظيفها وتطهيرها بالفومالين والكريزيل المغلي.
- قيام الأطباء بزيارة المصحات مرتين يوميًا، وفرز المشتبه بهم، وتوجيههم فورًا نحو المحاجر الصحية، وإرسال الأصحّاء منهم للعمل في أوراش البناء أو إرجاعهم إلى مواطنهم الأصلية مع مبلغ مالي هزيل.
- توفير الطعام للفقراء اللاجئين، والذي كان يتكون من خبز وشوربتين ساختين (حريرة) في اليوم.[٢٧]

وبتاريخ ١٠ يوليوز ١٩١٤، استصدرت الإقامة العامة بالجريدة الرسمية ظهيرًا نبه الأوربيين إلى ضرورة الابتعاد عن حشود الأهالي، وتوخّي المزيد من الحيطة والحذر في اختيار الخدم من المسلمين، والاحتراز من الأماكن المزدحمة والابتعاد عن الحمّالين، وعدم الأكل في المطاعم المغربية إلا بعد التّأكّد من نظافتها، وأن يحذروا في اختيار خادمات البيوت، وأن يشترطوا عليهن نزع ملابسهن وتركها خارج بيوت مشغليهم وارتداء لباس خاص بالعمل.[٢٨]

وتلكم إجراءات تشير أن المستعمر في البدايات الأولى للحماية وفي ظل غياب الأدوية والتطعيمات المكافحة للتيفوس، ركّز على الجرائد لنشر أهم الإجراءات الوقائية والاحترازية لمنع تفشي الوباء في صفوف المستوطنين الفرنسيين، لذلك كان يحثهم على عدم الاقتراب من الأهالي

٥/٢-الإعلام والجذري

كان هذا الوباء معروفًا في البلاد المغربية؛ إذ يظهر في فترة زمنية ثم يختفي ليعود مرة أخرى بعد أربع سنوات أو تسعة. ومما جاء كذلك في "جريدة الترقي": «أن مرض الجذري معروف وشائع في البلاد المغربية، ومن لاحظ التشوهات الكائنة في أوجه القوم وأعضائهم عرف شدة وطأة هذا المرض ووخامة عافيته، والجدري يعتري الكبار والصغار على السواء[٢٩]». وفي سنة ١٩١٧م، أشارت جريدة السعادة إلى تواجد بعض الإصابات بمدينة فاس ضمن مقالها المعنون بـ "داء الجُذري"، بما نصّه: «كانت ظهرت بعض إصابات الجذري بمدينتنا، وقد اهتمت لذلك إدارة البلدية كل الاهتمام تحفظًا من الانتكاس وانتشار الداء المعدي المذكور بيننا، وقد أخذت كل الاحتياطات اللازمة لوقاية أولادنا شر أضراره الفتاكة لما ترك بين ظهراننا من ذكرى الحزن[٣٠]». وهذا قد يدل على أن سلطات الحماية الفرنسية اتخذت الاحتياطات العلاجية والوقائية اللازمة مخافة تفشي العدوى.

ونظرًا لأهمية التطعيم الجينيزي[٣١] Vaccination Jennérienne [٣٢]ضد الجُذري، سنت الإقامة العامة بالجريدة الرسمية سنة ١٩١٨ قانون يؤكد على إلزامية التلقيم، ويُحتّم تلقيح الأطفال في الشهر الأول من الولادة وإعادة تطعيم الكبار كل أربع سنوات، نستشف ذلك من خلال الظهير الشريف الذي استصدرته الإقامة العامة خلال نفس السنة، والذي تضمن ثمانية فصول نصت على ما يلي:

الفصل الأول: كل قادم للمنطقة الفرنساوية بالإيالة الشريفة من إحدى المراسي أو عن طريق البر لا يُدلي بشهادة قانونية مثبتة بأنه لُقِّح بالمادة الواقية من الجدري منذ أقل من ستة أشهر يجري تلقيحه حالًا، ولا يجرى ذلك على القادمين من العسكريين.

الفصل الثاني: يؤخذ عن كل تلقيح أداء قدره فرنك واحد.

الفصل الثالث: كل من أبى الاستظهار بالشهادة المشار إليها أن يُلَقَّح مرة أخرة زيادة على تعريضه للعقوبات.

الفصل الرابع: الشركات البحرية ملزمة بدفع الأداء المرتب على التلقيح.

الفصل الخامس: يُرقم في أوراق السفر أو يُعلن في محلات الشركات البحرية وسفنها أنه يتعين على كل راكب أن يكون مصحوبا بالشهادة المشار إليها.

الفصل السادس: يُكلف أعوان الإدارة البحرية والبرية على الحدود لإثبات المخالفات.

الفصل السابع: كل من خالف مقتضيات هذا الظهير، يحكم عليه بالسجن من يوم واحد إلى خمسة أيام، وبذعيرة تتراوح من فرنك إلى خمسة عشر فرنكًا[٣٣].

٦/٢-الإعلام والطاعون

يعتبر الطاعون من الأمراض المعدية، يصيب الفئران وينتقل إلى الإنسان، ويتميز بالتهاب الجهاز اللّمفاوي وحدوث نزيف في الأنسجة، وينتقل المرض عن طريق الفئران أو أنواع القوارض الأخرى، ذلك أنه عندما ينتشر الطاعون بين الفئران، فإنه يؤدي إلى نفوق كثير منها فتهجرها البراغث إلى الإنسان وتلدغه وتنقل إليه الطاعون[٣٤]. ونظرًا لخطورة هذا الوباء، انكبت سلطات الحماية الفرنسية على مكافحته بمختلف الوسائل، كما استعانت بالجرائد لتوعية السكان المغاربة بكفية العدوى، وأكدت أن أنثى الفئران يمكنها أن تُنجب ما بين ٦ و١٢ مرة في السنة، وصغارها تُصبح بالغة بعد ٦ أشهر فقط، وتنتشر غالبًا في المنازل ومجاري الصرف الصحي والبراري، وتتغذى بشكل خاص على الحبوب واللحوم ومخلفات الطعام بجميع أنواعها[٣٥].

ثالثًا: المؤرخ والصحفي في زمن كورونا

منذ أكثر من عقدين من الزمن تساءل أحد المؤرخين المغاربة قائلاً: هل يصح القول -بعد أن أصبحت العولمة قدرًا لا مفر منه- أن المؤرخ سيدخل حقبة تشكل طفرة نوعية على مستوى البحث التاريخي؟[٣٦] انطلاقًا من الكم الموضوعاتي والوثائقي والطفرات المنهجية، وفي نفس السياق وفي ظل عولمة الأوبئة وانتشارها على نطاق واسع ومنها المغرب، هل استطاع مؤرخ الزمن الراهن أن يلفت انتباه الصحفي لينشر له نتائج أبحاثه حول وباء كورونا؟

ثمة علاقة بين التاريخ والصحافة وثيقة، ويبدو أن مميزات في المؤرخ الصحفي واحدة، ويكاد يكون النهج الذي يسير عليه كل منهما في كتاباته وبحثه ونقده واحدة مع اختلاف يسير بينهما، وربما يكون الاختلاف بين الاثنين في الصفات والنهج إلى عامل الزمان.

ويتحكم عامل الزمان في عمل الاثنين، فالمؤرخ غير مرتبط في عمله بزمن محدد، فلديه ما يشاء من الوقت لإنجاز عمله ، أما الصحفي فإنه يتحكم فيه عنصر الزمان تحكمًا شديدًا، فأمامه ساعات فقط لإنجاز عمله، إذا كان يعمل في صحيفة يومية ورقية ورقمية، وأمامه وقت محدد وهذه السرعة التي تتسم بها أعمال الصحفي -خصوصًا الذي يعمل في الصحافة اليومية- قد تجعل إنتاجه فجًا أو ضحلًا أو ناقصًا في أغلب الأحوال، بينما يتصف التاريخ عادة بالنضوج والعُمق والاكتمال والتمام، والصحفي معذور لأنه مطالب بتقديم إنتاجه في ساعة معينة حتى يلحق الصحيفة في موعدها المحدد.

ورؤية العلاقة بينهما من خلال ما يسمى اليوم بالتاريخ الراهن[٣٧]، يشتركان في نفس المرحلة التاريخية التي يعالجانها، فيصبح كل منهما (شاهد عصر)، ويكاد يكون النهج الذي يسير عليه كل منهما في كتاباته وبحثه ونقده واحدة مع اختلاف يسير في الحالين، فالصحفي يبحث عن الخبر بينما المؤرخ يبحث عن صحة الخبر؛ فالخبر المسكوت عنه لدى الصحفي هو الخبر الأساسي الذي سيشكل أطروحة المؤرخ وهموم بحثه[٣٨]؛ لذلك نستطيع القول إن المؤرخ صحفي الماضي، وأن الصحفي

مؤرخ الحاضر وبالخبر ينتهي دور الصحفي في صناعة التاريخ ليبدأ دور المؤرخ.

نقلت الصحافة الوطنية قصاصات أنباء حول تسجيل أول حالة إصابة بالبلاد بوباء كرونا (كوفيد-١٩) في ٢ مارس ٢٠٢٠ بالدار البيضاء. رغم الاحترازات المتخذة للحيلولة دون انتشار هذا الوباء بالمغرب،[٣٩] تتعلق الحالة بمواطن مغربي عائد من مدينة بيرغامو، الإيطالية في ٢٧ فبراير. وسجلت ثاني حالة بعد أيام قليلة لمواطنة مغربية تبلغ من العمر ٨٩ سنة مقيمة بإيطاليا، وعادت من مدينة بولونيا إلى المغرب في ٢٥ فبراير بعد اتساع رقعة تفشي المرض في المغرب في منتصف مارس، أغلقت الحكومة المدارس وعلقت الرحلات الجوية.[٤٠]

في ظل هذه الوضعية التي أصبح يعرفها المغرب منذ عند الإعلان من أول حالة إصابة بكورونا وما نتج ذلك من إجراءات الحجر الصحي، بات من الواضح ارتفاع الطلب على خدمات الصحفي بكل أنواع تخصصه واهتمامه وأيضًا الرغبة في معرفة المزيد عن تاريخ الأوبئة والجوائح، فتم تأسيس جسر من التواصل بين الصحفي والمؤرخ لتقاسم هذا الاهتمام غير المسبوق ، ومن جهة أخرى زاد الطلب والشغف في الأوساط الأكاديمية المهتمة بالتاريخ على تاريخ الراهن، وكانت هذا التلازم اصدق تعبير على دور الصحافة في نقل الاهتمام التاريخي للحدث الوبائي، ومما يدل على ذلك حجم المنجز من الدراسات و الأبحاث حول وباء كورونا .

١/٣-لمحة عن مساهمات المؤرخين في التعريف بتاريخ الأوبئة زمن كورونا

تنوعت مساهمات الباحثين في التاريخ في ظرفية جائحة كرونا، من خلال القنوات الأكاديمية المعروفة في مجال البحث التاريخي، وشكلت محط اهتمام إعلامي منقطع النظير لكم الاهتمام الواسع بمعرفة المزيد حول تاريخية الأوبئة ومنها وباء كرونا، ومن جهة أخرى وجد الباحثون في التاريخ نافذة ت قصد إيصال معرفتهم التاريخية الخاصة بالجوائح إلى أوسع شرائح المجتمع، والمقصود هنا هو شبكة الأنترنت ووسائل الإعلام بأشكالها المرئية والمكتوبة والإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي. والتي قربت المعلومة التاريخية من شرائح واسعة من المجتمع طيلة مدة الحجر الصحي والتي ناهزت أربعة أشهر.

٢/٣-الصحافة المرئية

ساهمت البرامج التلفزية والقنوات الإليكترونية في الاهتمام بالإنتاج العلمي التاريخي حول وباء كرونا، وهنا لا ندعي الإلمام بكل ما أنتج في هذا الصدد، وإنما الاقتصار على بعض البرامج قصد لفت الانتباه الى أهمية هذه القنوات في تقريب المعرفة التاريخية حول وباء كوفيد، وفي هذا الصدد نورد هذه النماذج كالتالي:

-عرضت القناة المغربية أربع حلقات من برنامج تاريخ الأوبئة بالمغرب (M24Maroc) للباحث محمد أبيهي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، حيث استضافته القناة في أربع حلقات، خصصت الأولى لموضوع "الكتابات التاريخية حول الجوائح والأوبئة بالمغرب "، والثانية لـ "تدبير المغاربة للجوائح والأوبئة في تاريخ المغرب " والثالثة لـ "أزمة فيروس كورونا من منظور تاريخ الزمن الراهن، والرابعة لـ "مستقبل العلاقات الدولية للمغرب في ظل أزمة كورونا.[٤١] 2020 يونيو 7 ليوم - في نشرة الأخبار الظهيرة على القناة التلفزيونية المغربية الثانية، ساهم الباحثين نور الدين بلحداد الأستاذ بمعهد الدراسات الأفريقية بالرباط ، وعلى بنطالب أستاذ بالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وعبد العزيز الطاهري أستاذ التاريخ بكلية الآداب بالرباط في التعريف بتاريخ الأوبئة في تاريخ المغرب.

٢-الصحافة الإلكترونية

اهتمت الصحافة الإليكترونية بحجم اهتمام المؤرخين بالحدث الوبائي خاصة كرونا، ومن ذلك ما نشرته، جريدة هيسبريس الإلكترونية[٤٢](heapers)، من مقالات، أولهما يغلب عليه الجانب البيداغوجي، ويحمل عنوان الدرس التاريخي بالجامعة المغربية نظرات بيداغوجية على ضوء تاريخ الأوبئة ونازلة كورونا، لأستاذ التاريخ بكلية آداب وجدة مصطفى نشاط الذي دعى فيه إلى إعادة النظر في الدرس التاريخي في الجامعة المغربية بالاهتمام أكثر بالتاريخ الاجتماعي، ومن قسمت

تاريخ الأولية والجوائح والثاني تاريخي، عنوانه "عندما انتشر الطاعون الأسود بالمغرب هلاك العمران والإنسان" ثم أجرت الجريدة نفسها، حوارا مع هذا الباحث"، أوضح فيه أهم الأوبئة التي عرفها تاريخ المغرب، ونتائجها وانعكاساتها ومواقف الفقهاء منها، ومواقف المغاربة منها وسلوكاتهم أثناء وقوعها، وعمل على لمقارنة بين هذه الأوبئة والوباء الحالي.

طرح المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش سؤال مفاده: أي دور للمؤرخ في فهم جائحة أزمة كورونا؟[٤٣] وقال أحسب أن السؤال المثار ذو طبيعة مركبة، فهو يروم إعادة التفكير في مسؤولية المؤرخ وانخراطه وتفاعله مع قضايا مجتمعه، وعدم بقائه في مقعد المتفرّج أو المراقب عن بعد، ومن ثمّ توسيع مساحات حضوره في الحراك المدني والنقاش المجتمعي، حتى يكون له دور ملحوظ وصوت مسموع في المجتمع، كما يسعى السؤال في الوقت ذاته إلى استكشاف آليات الاشتغال المنهجي التي تتيح للمؤرخ بناء رؤية لفهم أزمة جائحة كورونا، وحاول تقديم محاور الفهم لأزمة جائحة كورونا من خلال:

- فرضيات وترتيبات نظرية للوقوف على عتبة الفهم الأولي لأزمة جائحة كورونا:
- أن الفهم يصبح أكثر تعقيدا بالنسبة لحدث من طينة وباء كورونا الذي أحدث شرخًا في رتابة مسيرة التاريخ الراهن، وصار لغزًا محيّرًا.
- أن وباء كوفيد ١٩ حدث آني بامتياز، لا يزال يتسم بفورانه، ولا تزال لحظاته في طور التشكّل بإيقاع سريع لا يسمح بالمراقبة الدقيقة. لذلك فإن فهمنا لمستغلقاته لن يتجاوز عتبة الفهم الأولي، في انتظار أن ينقشع الضباب، وتتضح الرؤية. دون الزعم بإمكانية تقديم إجابات دقيقة.

لكن مع ذلك، ثمة وضع المؤرخ بوتشيش عن محددات فهم الأزمة، من خلال النقط التالية:

أولاً: إن هذا الوباء حدث معاش، لا يزال المؤرخ يعيش في قلب حركيته، ويحيا لحظات أهواله بالساعات والدقائق، لقد وجد المؤرخ نفسه فجأة لصيقا بالحدث، إنه حدث لحظي يطرح سؤالاً راهنيًا على لحظة تاريخية ساخنة، تجعل منه مؤرخا آنيا بامتياز، وكلما كان المؤرخ قريبا من الحدث، كانت مصادره وآليات اشتغاله أكثر وفرة وحظا للفهم.

ثانيًا: إن زمن كورونا زمن غير طبيعي، بل يمكن وصفه بأنه زمن غريب، زمن ما فوق المألوف، تغيّرت فيه المفاهيم والسلوكات الطبيعية، وانقلبت فيه المعادلات،

ثالثًا: إن الحجر الصحي الذي يعيشه المؤرخ وغيره من خدام المعرفة هذه الأيام، هو فرصة للتفكّر والتدبّر، فالانعزال والتأمل عادة ما يزيد من طاقة العمق الفكري،

رابعًا: إن مراحل الأزمات التي تسبّبها الأوبئة والمجاعات أو الحروب، تؤدي في الغالب الأعم إلى تكسير رتابة التفكير والقيّم الجاهزة، وتجنح نحو إبداع أسئلة جديدة،

خَاتِمَةٌ

من حصاد ما سبق، فإن دور الإعلام في حفظ الصحة بالمغرب من الحماية إلى الزمن الراهن، واضح من خلال تزايد حجم الاهتمام الإعلامي بقضايا حفظ الصحة، بالإضافة الى الإقبال الإعلامي على المادة التاريخية الخاصة بالأوبئة، وقد زاد مع اللحظة العصيبة التي عاشها المغرب والعالم في زمن كرونا. وهكذا خلصنا الى مجموعة من الاستنتاجات نوجزها كالتالي:

- استلزم حفظ الصحة العامة وتوعية السكان المغاربة بمخاطر الأمراض والأوبئة المعدية، تجييشًا إعلاميًا استعماريًا خاصةً الصحف، زمن الحماية الفرنسية على المغرب، لإبراز دور الخدمات الصحية الاستعمارية في تبرير الوجود الاستعماري، باعتبارها أحد آليات التغلغل الاستعماري. وإبراز اليد البيضاء لفرنسا على المغرب في تحضره.

- تدخل المادة الخبرية الخاصة بحفظ الصحة في المغرب زمن الحماية في إطار تبخيس دور الحركة الوطنية المغربية في سعيها لتحقيق الاستقلال. وقد كانت المناسبة لرصد ظهور وتطور أنواع المنابر الإعلامية المغربية زمن الحماية، ونوعية المواضيع المهتمة بها. كما كان لهذ الوسائل المحلية دور في توعوية السكان حول كيفية الوقاية من الأمراض، وكشف عدم التزام سلطات الحماية نحو المجتمع المغربي.
- استمرار الاهتمام الإعلامي بالقضايا الصحية الراهنة وصولًا لزمن وباء كورونا، فكانت المواضيع التاريخية ذات الصلة بتاريخية الأوبئة مادة إعلامية دسمة ورائجة، وبالتالي وقفنا على كم اهتمام المجتمع بالمادة الإعلامية الخاصة بوباء كورونا، وحجم التعاطي الإداري والاجتماعي والاقتصادي مع هذا الوباء من قبل الدولة والمجتمع.
- تمثل الصحف والمحتويات الإعلامية الاستعمارية والمغربية، وثائق لا غنى عنها للمؤرخ في كتابة جانبًا من تاريخ الأوبئة والأمراض وأشكال حفظ الصحة العامة بالمغرب أثناء الحماية إلى زمن كورونا.

الإحالات المرجعية:

(١) أفا عمر، **البراج**، معلمة المغرب، ج ٤، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ١٤١١هـ/ ١٩٩١ م، ص.١١٥١.

(2) Jamaa Baida,**La presse Marocaine d'expression Française des origines à 1956**, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Rabat , Thèses n°31,1996,p.32.

(٣) اليوسفي المغاري حسن، لمحات من تاريخ الصحافة المغربية، ج ٤، انظر: https://elyousfi2.blogspot.com، اضطلعت عليه بتاريخ: ١/.٢/٢٠٢٤.

(4) Jamaa Baida, **La presse Marocaine d'expression Française** ...., op.cit,p.32.

(٥) اليوسفي المغاري حسن، لمحات من تاريخ الصحافة المغربية، ج ٤، انظر: https://elyousfi2.blogspot.com، اضطلعت عليه بتاريخ: ١/.٢/٢٠٢٤.

(٦) زكريا الإبراهيم، **الصحة والمجتمع دراسة سوسيولوجية للصحة والمرض بالمجتمع القروي**، فضاء أدام للنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠١٦، ص.١٠٥-١٠٦.

(7) Alix Woytt-Gisclard (Dr), **L'assistance aux indigènes musulmans au Maroc**, Thèse pour le doctorat, Recueil Sirey, Paris,1936 .,p.107.

(٨) مكافحة حمة المستنقعات، **السعادة**، ٦ أكتوبر ١٩٢٨، ع ١ ٣٣.

(٩) الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، **جريدة السعادة**، ع ٣٥٤٦، ٢٩ ماي ١٩٣٠.

(١٠) مكافحة الناموس وحمى المستنقعات، **السعادة**، ع ٤١٢٤، ١٢ مايو ١٩٣٤.

(١١) حمى المستنقعات، **جريدة السعادة**، عدد ٣٠٩٦، الخميس ٥ ماي ١٩٢٧.

(١٢) مكافحة حمى المستنقعات، **جريدة السعادة**، عدد ٣٣٦٧، السنة ٦، ٢٥ مارس ١٩٢٩، ص. ١.

(١٣) التّدرن أو السّل، **جريدةالسعادة**، ع ٥٦٥٤، ١٠ يوليوز ١٩٤٢

(14) **Résidence générale de la République française au Maroc, Rapport sur l'activité des services du protectorat en 1928**, Imprimeries Officielle, Rabat,1929, p.295.

(15) Dahir du 7 Avril 1925 (13 ramadans 1343) modifiant la liste des maladies contagieuses ou épidémiques soumises à la déclaration prévue par le dahir du 28 janvier 1914 (1(er)rebia I 1332), **Bulletin Officiel**, n° 657, 26 mai 1925, p.884.

(16) Arrêté vizirial du 25 janvier 1928 (2chaabane 1346) relatif à la concession de congrès de longue durée aux fonctionnaires titulaires des cadres permanents des administrations publiques chérifiennes atteints de tuberculose ouverte, **Bulletin Officiel,** Dix-septième année, n°797 ,31 janvier 1928, p .304.

(١٧) لمكافحة داء السل، **جريدة السعادة**، ع ٣٦١٥، ٣٠ نونبر ١٩٣٠.

(18) Raynaud Lucien, **Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc**, Alger, 1902, p .143.

(19) Delanoë Eugénie, Trente **Années d'activité Médicale et Sociale au Maroc**, Librairie Maloine S.A, Paris,1949, p.113.

(٢٠) مرض الزهري أو النوار، **جريدة السعادة**، ع ١١٥٦، ٢٤ يناير ١٩١٦.

(٢١) ظهير شريف يتعلق بالأوباش الذين يتعاطون صناعة القيادة على النسوة، **الجريدة الرسمية**، عدد ٤٧، ٢٧ مارس ١٩١٤، ص١٠٥.

(٢٢) Rivet Daniel, **Le Maroc de Lyautey à Mohamed V, le double visage du protectorat**, Ed Porte d'Anfa, Paris,1999, p 236.

(٢٣) أسعد كرم، الصحة العمومية، **جريدة الترقي**، السنة التاسعة، عدد ٤٣٣، ١٢ ماي ١٩١٠، ص. ١.

(٢٤) إدارة الصحة العمومية، مرض التيفوس، **جريدة السعادة**، عدد٣٢٠١، ٣١ يناير ١٩٢٨.

(٢٥) العدوى، **جريدة السعادة**، عدد ٢٧٩، ١٦ نوفمبر ١٩١٨.

(26) Service de la Santé et de L'assistance publique, **Bulletin Officiel**, Troisième Année, n°68,13 février 1914, p.102.

(27) Ibid.

(28) Service de la Santé et de L'assistance Publiques, Etat du Service de la Santé et de l'Assistance Publiques du Protectorat et Considérations sur l'Epidémiologie Marocaine à la fin de l'Année 1913, Epidémiologie, **Bulletin Officiel**, troisième année, n°89,10 juillet 1914, p.559

(٢٩) الجذري، **الترقي**، ع ١٦٦، السبت ٦ دو القعدة ١٣٣٥ الموافق ل غشت ١٩١٧، ص. ٢.

(٣٠) داء الجذري، **جريدة السعادة**، ١٠ يوليوز ١٩١٧، ع ١٥٦٧

(٣١) التطعيم الجينيزي: لقاح ضد وباء الجذري، انظر:

Colombani Jules et Mauran (Drs), **Le Ministère de la Santé et l'Hygiène Publique au Maroc** , les Editions-Marocaines : Léon Guigues,Casablanca,1921. ,p.172

(٣٢) الفاسي عبد الإله، بلدية الرباط، تحولات الحياة الاقتصادية بمدينة الرباط بعد فرض الحماية١٩١٢ ـ ١٩١٨، **منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط**، سلسلة بحوث ودراسات رقم ٢٧، ط ٢٠٠١، ص.٤٢٥.

(٣٣) ظهير شريف في وجوب التلقيح بالمادة الواقية من مرض الجدري لكل قادم للإيالة الشريفة برا وبحرا، **الجريدة الرسمية**، عدد ٢٩٢، ٢ ديسمبر ١٩١٨، ص.١١١٨ـ١١١٩.

(٣٤) رويان (بوجمعة)، **الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب ١٩١٢ ـ ١٩٤٥**، الطبعة الأولى، دار النشر المغرب، ٢٠١٣. ص. ١٣٠ـ ١٣١.

(35) Instruction Résidentielle pour la destruction des rongeurs, Bulletin Officiel, n°78,24 avril 1914, p.279.

(٣٦) إبراهيم القادري بوتشيش، **مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة والإنترنيت، منشورات الزمن، سلسلة قضايا تاريخية**، الكتاب الثاني، مطبعة النجاح الجديدة،2000، ص.7-6.

(٣٧) جامع بيضا، **فترة الحماية ونقط الظل، ضمن المغرب والزمن الراهن**، إشراف وتقديم محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء،2013، ص.17.

(٣٨) عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ**، ج١، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992، ط١١، ص.68

(٣٩) ومن المعلوم أن هذه الجائحة العالمية نتجت لمرض فيروس كورونا ٢٠١٩ والذي يحدثُ بسبب فيروس كورونا ٢ ارتبطت بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة.(SARS-CoV-2)

(40) www.who.int/covid-19 منظمة الصحة العالمية

www.un.org/ar/coronavirus-٢٢-٣. الأمم المتحدة، تاريخ الاطلاع ٢٠٢٤

(٤١) نشر بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠٢٠.الرابط: spss bit ly/3454AN تاريخ التصفح:20 فبراير 2024.

(٤٢) نشر بتاريخ 13 يونيو ٢٠٢٠، الرابط: http://bit.ly/39ciDA، تاريخ التصفح 20 فبراير 2024.

(٤٣) نشر بتاريخ ٣١ مارس ٢٠٢٠ الرابط: hnps://bit.ly/31pFtfe، تاريخ التصفح 20 فبراير 2024.